

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ :

(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيْمَانُ، وَهُوَ: بِيَضْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: كما في الحديث: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (١).

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:

[٤٩].

الشرح

المرتبة الثانية: الإيمان

لما فرغ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ من المرتبة الأولى من مراتب الدين: وهي الإسلام؛ ثنى بما ثنى به نبينا ﷺ وجبريل في الحديث المشهور، وهو الإيمان. والإيمان إذا ذكر يراد به الإيمان الذي بمعنى الدين كله، وقد يراد به الإيمان الذي هو الأعمال الباطنة؛ فإذا ذكر الإيمان مع الإسلام في نص واحد فإن الإسلام يعني: الشرائع الظاهرة، والإيمان

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٨).

يعني: العقائد الباطنة، وإذا ذكر كل منهما في نص مستقل؛ فإن كل منهما يدل على الدين كله، إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا؛ أي: إذا اجتمعا في نص واحد فإن الإسلام يعني: الشرائع الظاهرة، والإيمان العقائد: الباطنة، كما في حديث جبريل، فقد فسر النبي ﷺ فيه الإسلام بأنه أركان الإسلام الخمسة التي هي شرائع ظاهرة: النطق بالشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وفسر الإيمان بالعقائد الباطنة فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١)، أما إذا ذكر الإسلام منفردًا؛ فإنه يتضمن الإيمان؛ لأنه يعني: الدين كله كما قال الله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وإذا ذكر الإيمان منفردًا؛ فإنه يدل على الدين كله المتضمن للإسلام، ولأجل ذا فإن الشيخ رحمه الله لما أراد أن يعرف المرتبة الثانية للإيمان ذكر التعريف العام والتعريف الخاص.

قوله: (الْمَرْبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ، وَهُوَ: بِيَضْعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ). كما قال النبي ﷺ ثم بعد ذلك عدد أركانه.

والإيمان في اللغة: معناه التصديق؛ لكنه تصديق مقرون بآثمان وإقرار وانقياد وإذعان؛ فهو ليس تصديقًا مجردًا؛ فالإيمان في اللغة: التصديق المقترن بالإقرار والإذعان.

وأما معناه في الاصطلاح؛ فهو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وهذا هو معنى قول العلماء: الإيمان قول وعمل؛ فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل، ليس الإيمان مجرد القول،

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٨).

الإغائة في شرح الأصول الثلاثة

١٣٤

ولا مجرد العمل؛ بل الإيمان قول وعمل؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ بأن له شعباً كثيرة قال: «فَاعْلَاهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، فلا يتم إيمان امرئ مسلم إلا بأن يعتقد بجنانه، ويتلفظ بلسانه، ويعمل بأركانه؛ فالقلب يتعلق به قول وعمل، واللسان يتعلق به قول وعمل، والجوارح يتعلق بها عمل.

وبيان ذلك:

قول القلب: المراد به اعتقاده؛ يعني: ما ينعقد عليه القلب من العلوم الصحيحة والمعارف الصائبة؛ كأن تعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له، أرسل رسلاً، وأنزل كتباً، وجعل يوماً آخر وجنة وناراً، هذه عقيدة قلب، وهذا قول القلب.

عمل القلب: هو ما يتحرك به القلب من النيات والإرادات؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء.

ففرق بين قول القلب وعمله: فقول القلب: هو الاعتقاد، وعمل القلب: هو ما ينبض به القلب من العبادات القلبية؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة وغيرها.

قول اللسان: المقصود به: الإعلان بالشهادتين؛ فلا نحكم بإسلام أحد حتى يلفظ بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

عمل اللسان: ما زاد على ذلك: من التلاوة، والدعاء، والذكر،

(١) أخرجه مسلم بهذا اللفظ، رقم: (٣٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، وأخرجه بنحوه مختصراً البخاري، رقم: (٩).

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والقول الحسن، وعموم الكلم الطيب.

أعمال الجوارح: ما تقوم به الجوارح من حركات تعبدية: كالقيام، والركوع، والسجود في الصلاة، وكالوقوف بعرفة، ورمي الجمار، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة في الحج.

فلا يكون إيمان إلا بالقول والعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، بهذا تتم منظومة الإيمان؛ فلو قال إنسان: أنا قد صدقت بأن الله حق، ووعدته حق، والنبيون حق، والجنة والنار حق، لكن لا عمل؛ لن أفعل الطاعات، ولن أجتنب المحرمات مطلقاً، فلا نثبت له إيماناً؛ لأن الإيمان حقيقته مركبة من قول وعمل، فلا بد من القول والعمل معاً؛ لكن هذا لا يلزم أن يأتي بجميع أعمال الجوارح؛ فإذا كان في القلب عقيدة فلا بد أن تثمر عملاً.

فقوله: **(أَعْلَاهَا قَوْلٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)**: تشمل اعتقاد القلب؛ ونطق اللسان.

وقوله: **(وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةٌ الْأَدَى عَنِ الطَّرِيقِ)**: هذا عمل جوارح.

وقوله: **(وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)**: هذا عمل القلب.

وبهذا يتبين لنا أن الإيمان يشمل الدين كله بهذا الاعتبار.

أما التعريف الخاص للإيمان؛ فإنه العقائد القلبية التي فسرهما النبي ﷺ في حديث جبريل بقوله: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** (١).

وهذه العقائد القلبية هي شجرة الإيمان التي قال الله عنها: **﴿أَلَمْ تَرَ**

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٨).

الإغائة في شرح الأصول الثلاثة

١٣٦

كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوِّقَ أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، ومن أحسن التقاسيم التي مرت عليّ في بيان شجرة الإيمان تقسيم شيخنا محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ لهذه المسألة:

شجرة الإيمان: ويتفرع منها ستة فروع، وكل فرع من هذه الفروع الستة يتفرع منه أربعة أغصان، وبهذا سيخرج معنا في النهاية أربعة وعشرون غصناً، وكل هذا من باب تقريب العلم؛ لأن النبي ﷺ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(١)؛ فهذه ستة أركان.

الركن الأول: الإيمان بالله: لا يتم إيمان امرئ بالله حتى يؤمن بأربعة أشياء:

أولاً: الإيمان بوجوده سبحانه؛ وهو الاعتقاد الجازم بوجود الله ﷻ، وهذا أمر فطري، ولا ينازع في هذا الأمر إلا الملاحدة المنكرون لوجود الله ﷻ.

ثانياً: الإيمان بربوبيته: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو الخالق المالك المدبر، وينازع في هذا: منكرو الربوبية: كفرعون الذي قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]، وكالمنمود الذي قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ثالثاً: الإيمان بألوهيته: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، وينازع في هذا: المشركون الذين يصرفون شيئاً من أنواع العبادة لغير الله.

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٥٠)، ومسلم، رقم: (٨).

رابعاً: الإيمان بأسمائه وصفاته، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى له الأسماء الحسنی والصفات العلی، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وينازع في هذا: صنفان من الناس: المعطلة: الذين ينكرون أسماء الله وصفاته، كلها أو بعضها. والممثلة: الذين يثبتونها على وجه يماثل المخلوقين. أما أهل السنة؛ فإنهم يثبتون إثباتاً بلا تمثيل، وينزهون الله تنزيهاً بلا تعطيل.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة، ولا يتم إيمان امرئ بالملائكة حتى يؤمن بأربعة أمور:

الأمر الأول: الإيمان بوجود الملائكة، وأنهم خلق حقيقي، خلقهم الله تعالى من نور، وينازع في هذا: الماديون الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ولا يؤمنون بالمغيبات، أو الذين يزعمون بأن الملائكة قوى معنوية وليست أجساماً حقيقية.

الأمر الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً، من علمنا اسمه منهم مثل: جبريل، ميكائيل، إسرافيل، ملك الموت، منكر، نكير؛ فهؤلاء نؤمن بهم بأسمائهم، ومن لم نعلم اسمه منهم فإننا نؤمن به إجمالاً؛ لأن ملائكة الله أكثر لا يحصيهم عد، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]؛ وقد أخبر النبي ﷺ: «رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»^(١)؛ يعني: لا تأتيهم النوبة مرة أخرى وهذا يدل على

(١) أخرجه البخاري، رقم: (٣٢٠٧)، من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن

كثرتهم، وقال النبي ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَعْطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»^(١)، والأطيط: هو الصوت الذي يُسمع حينما يثقل الرجل بالراكب، فيسمع للسيور والجلد صوت بسبب الثقل.

الأمر الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، ذلك أن الملائكة عالم غيبي لم نره بأعيننا؛ لكن الله تعالى أخبرنا عن بعض صفاتهم؛ فقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّنْثَىٰ وَتِلْكَ وَرِيعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، وأخبر النبي ﷺ أنه رأى جبريل وله ستمائة جناح^(٢)، كل جناح قد سد الأفق؛ لعظم خلقه عليه الصلاة والسلام، وقال في حديث آخر: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَىٰ عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعِ مِائَةٍ عَامٍ»^(٣).

- = صَعَصَعَةَ ﷺ مرفوعًا، ومسلم، رقم: (١٦٢)، من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعًا.
- (١) أخرجه الترمذي، رقم: (٢٣١٢) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وصححه الحاكم في المستدرک، رقم: (٣٩٠٥)، وقال محققو مسند أحمد، ط. الرسالة (٤٠٥/٣٥): «حسن لغيره بهذه السياقة، وهذا الإسناد رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أنه منقطع، فإن مورقًا العجلي لم يسمع من أبي ذر»، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٩٩/٤)، رقم: (١٧٢٢).
- (٢) أخرجه البخاري، رقم: (٣٢٣٢)، ومسلم، رقم: (١٧٤)، من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا.
- (٣) أخرجه أبو داود، رقم: (٤٧٢٧)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وقال ابن كثير كما في تفسيره، ت: سلامة (٢١٢/٨): «وهذا إسناد جيد، رجاله =

الأمر الرابع: الإيمان بما علمنا من وظائفهم وأعمالهم، وقد أخبرنا الله ﷻ عن عبادة مشتركة بين جميع الملائكة: وهي الاجتهاد في العبادة، فقال: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسِخِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، فقد ألهموا التسبيح وأعطاهم الله ﷻ القوة على عبادته، كما قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فهذا دأبهم وهذا عملهم؛ فنفسهم زكية ليس فيها نزعة إلى الشر مطلقاً؛ فالتسبيح وظيفتهم المشتركة، لكن لهم وظائف متخصصة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصفات: ١٦٥ - ١٦٦]، وقال الله تعالى ﴿وَالنَّزْعَاتِ غَرَقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ [النازعات: ١ - ٥]، هذه طوائف من الملائكة مكلفة بأعمال معينة.

ومن أعمالهم:

كتابة الأعمال: فقد أخبر الله تعالى أنهم: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

عمل ملك الموت الذي يقبض الأرواح: ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١].

عمل الملك الذي يتسور على الجنين في بطن أمه؛ فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

= ثقات»، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، لابن حجر (٦٦٥/٨)، وقال: «إسناده على شرط الصحيح». وصححه الألباني في مختصر العلو للعلي العظيم (ص ١١٤)، رقم: (٧٥).

الإغائة في شرح الأصول الثلاثة

١٤٠

المعقبات: ﴿لَهُ مَعَقِبَةٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾

[الرعد: ١١].

وأشرف أعمالهم: أمانة الوحي، وهذه مهمة جبريل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ

الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

عمل ميكائيل: وهو إنزال القطر من السماء، وإنبات الأرض.

عمل إسرافيل: وهو النفخ في الصور؛ فتعود الأرواح إلى الأجساد

التي كانت تعمرها في الدنيا.

وبالجملة، فملائكة الرحمن قد أسندت إليهم مهام متعددة متنوعة

متخصصة؛ فنؤمن بما صح به الخبر.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب، ولا يتم إيمان امرئ بالكتب حتى يحقق أموراً أربعة:

الأمر الأول: الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقاً: هذه الكتب

ليست كلام آدمي؛ بل هي وحي يوحى أنزله الله تعالى على أنبيائه، فهذه

أعظم خصيصة لها.

الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه، وما لم نعلم

اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً، فالذي نعلمه من كتب الله: التوراة،

والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى على

خلاف؛ هل صحف موسى هي التوراة، أو سواها؟ فما علمنا اسمه آمننا

به باسمه، لا نسميه كما تسميه النصارى واليهود: العهد القديم، والعهد

الجديد؛ بل: التوراة والإنجيل.

الأمر الثالث: الإيمان بما صح من أخبارها، وهذه مسألة مهمة،

وذلك أن كتب الله ﷻ قد امتدت إليها يد التحريف سوى القرآن، فما